

أسئلة إسرائيلية بعد رفض الليكود خطة شارون

مقابل أن نتكرم عليهم بالمصافحة، ويقبلوا أيدينا لأننا منّا عليهم بالصور التذكارية التي تؤخذ وقت التوقيع على معاهدات السلام، دون أن نخلي حتى لو مستوطنة واحدة؟ هل يمكن لعاقل أن يتصور هذا؟».

الكثير من المعلقين وجد نتائج الاستفتاء مناسبة للتذكير بما جاء في الرسالة التي وقّع عليها أربعة من قادة المخابرات الإسرائيلية الداخلية السابقين، حيث حذر هؤلاء من أن الدولة العبرية نفسها معرضة للزوال في حال لم يتم الإسراع بالتوصل إلى تسوية سياسية تقوم على إنهاء الاحتلال. الجنرال أمنون شاحك، الرئيس الأسبق لهيئة أركان الجيش الإسرائيلي يقول «لا يمكن لدولة مهما قويت أن تحيا على السيف. إن نظرية الجدار الحديدي هي نظرية فاشلة، لا يمكن أن نحيا بالحديد والنار، إننا نعيش ظروفاً غير عادية وغير طبيعية تماماً، يتوجب علينا أن نطبع حياة مواطنينا، ألا نفكر أن نتحرر من الحياة وفق عقيدة الحصن والقلعة؟». ولا يختلف اثنان في الدولة العبرية على أن ما جرى ينسف مزاعم الدولة العبرية بأنها دولة ديمقراطية. ويقول إيتان هابر، مدير مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق رابين، «كيف يسمح لحضنة من المتطرفين بالتحكم في مصير دولة بأسرها، من فوض هؤلاء تحديد قرارات الدولة». ويضيف «ليس من أبسط متطلبات الديمقراطية أن يتم احترام قرار الأغلبية، وألا يتم تجاهل هذا القرار، وعندما تؤكد كل استطلاعات الرأي العام في الدولة العبرية على أن معظم الإسرائيليين يؤيدون الهروب من غزة، فلا يجب أن تملّي قلة هامشية إرادتها على كل الدولة».

الليكود تحت السيطرة

نتيجة الاستفتاء حملت دلالة هامة، وهي أن حزب الليكود أصبح تحت تصرف اليمين الديني المتطرف. فمنذ أن تولّى السلطة لأول مرة حرص حزب الليكود على تقديم نفسه للجمهور الإسرائيلي من ناحية أيديولوجية كحزب يمين وسط، وكحزب علماني، من حيث تصوره للعلاقة بين الدين والدولة، وقد ساعده ذلك في استقطاب مصوتين من مختلف شرائح المجتمع الإسرائيلي. لكن منذ أربعة أعوام حدث تطور بالغ الأهمية لم يلفت اهتمام إلا قلة من المهتمين بالشؤون الحزبية في الدولة العبرية. فلدى تسجيل المنتسبين لحزب الليكود قبل أربع سنوات، استغلت حركات اليمين الديني المتطرف التي تنشط في المستوطنات بشكل خاص هذه الفرصة، وقامت بتشجيع آلاف المستوطنين على الانضمام إلى الليكود، وقد تولت هذه الحركات دفع رسوم العضوية للمنتسبين الجدد. كان الهدف من وراء هذه الخطوة واضحاً تماماً، وهو تمكين جماعات اليمين الديني المتطرف من التأثير على مجريات الأمور في الليكود. عندما انضم آلاف المستوطنين بشكل جماعي لليكود، كان الحزب يملك تسعة عشر مقعداً في البرلمان، ولم يتوقع هؤلاء في حينه أن يصبح الليكود ليس فقط الحزب الأكبر، بل حزب السلطة. لعب موشيه فايغلين، زعيم حركة «هذه أرضنا»، وهي أكثر حركات اليمين الديني تطرفاً ورفضاً للتسويات مع الفلسطينيين دوراً ريادياً في عملية تجنيد المستوطنين لليكود. وبالفعل تحقق رهان فايغلين وزملائه، فقد حسم آلاف المستوطنين الذين تسللوا إلى الليكود مصير خطة «فك الارتباط»، التي كانت تنص على تفكيك مستوطنات قطاع غزة، وبعض المستوطنات النائية في شمال الضفة الغربية. كل من يعرف طبيعة التركيبة الأيديولوجية لمنتسبي حزب الليكود لم يكن ليتفاجأ بالنتيجة التي أسفر عنها الاستفتاء، لدرجة أن حاييم رامون، أحد قادة حزب العمل اعتبر أن فايغلين هو الزعيم الحقيقي لحزب الليكود وليس شارون، في إشارة إلى التأثير الكبير لأنصار فايغلين على مجريات الأمور في الحزب. من هنا، فإن بعض الوزراء المقربين من شارون، الذين يعون ذلك نصحوه بعدم المخاطرة وربط مصير خطة «فك الارتباط»، باستفتاء منتسبي الليكود.

كما توقعت استطلاعات الرأي، فقد صوت معظم منتسبي حزب الليكود ضد خطة «فك الارتباط»، التي بلورها زعيم الحزب ورئيس الوزراء أرييل شارون. وكدليل على مدى التطرف الذي أصاب المجتمع الصهيوني، فإن طرفاً إسرائيلياً هو الذي أفضل خطة «فك الارتباط»، التي وضعها شارون كعقاب للفلسطينيين، ومن أجل تسهيل سلخ الضفة الغربية وضم معظمها إلى (إسرائيل). وهي مفارقة تشي بمستقبل التسويات مع الدولة العبرية مع العلم أنه على أساس هذه الخطة برّر الرئيس الأمريكي جورج بوش دعمه لموقف شارون الرافض لممارسة حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وأيد ضم التجمعات الاستيطانية لـ(إسرائيل)، وأقر «بحق» (إسرائيل) بعدم الانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران/يونيو من العام ٦٧.

نتيجة الاستفتاء جعلت معظم المعلقين في الدولة العبرية يقولون أن الدولة العبرية غير جاهزة لأي تسوية سياسية، بشكل يثبت مدى التضليل الذي يحتوي عليه شعار رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون الذي يقول إنه لا يوجد «شريك فلسطيني لأية خطوة مع إسرائيل». أمنون إبراموفيتش كبير معلقى القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي قال في اليوم الذي تلا ظهور نتائج الاستفتاء إن هناك دلالة واحدة هامة يتوجب علينا أن نمتلك الجرأة والشجاعة الأدبية للاعتراف بها، وهي «إننا نثبت للعالم أننا لسنا معنيين بالتوصل لأي تسوية يمكن أن تقود إلى تسوية، وإن من يبحث عن الدليل على مدى اندفاع هذه الدولة نحو جنون التطرف وبؤس التشبث بالأيديولوجيات الطائشة التي تركز الشوفينية في أشبع صورها، فإن نتائج الاستفتاء في حزب الليكود يمثل دليلاً حياً على ذلك». ويتساءل إبراموفيتش «إن كان قطاع غزة الذي يمثل أكبر كابوس يؤرق دولتنا ومجتمعنا نصر على البقاء فيه، كيف يمكن أن نواصل البقاء في هذه البقعة القاتلة، إنه لا يمكن أن يفسر هذا الأمر مطلقاً».

أما دان مرغليت المعلق البارز في القناة العاشرة فقال معلقاً على الاستفتاء إن النتائج تثبت للجميع في العالم أن عصبه من المتطرفين المعتصين تتحكم في هذه الدولة. ويضيف مارغليت متسائلاً «كيف يمكن أن يحدث هذا في دولة تدعي التعقل والمنطق، إننا دولة مجنونة رهنّت نفسها في أيدي مجموعة من المجانين وغريبي الأطوار الذين لا يروق لهم إلا تخريب هذه الدولة ومشروعها بالكامل».

الجنرال داني روتشيلد، رئيس قسم الأبحاث الأسبق في شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية المعروفة بـ«أمان»، يؤكد أن نتائج الاستفتاء تبعث برسالة هامة جداً للعالم وللعالَم العربي والإسلامي، أن دولة (إسرائيل) لا تعرف إلا لغة القوة والحرب وإثمه في حال لم يمارس ضدنا الحرب والقوة، فإننا لا نعرف أن نتنازل. ويتساءل روتشيلد مستهجنًا عن الذخر الاستراتيجي الذي يمكن أن تفقده الدولة العبرية في حال انسحبت من غزة، مشدداً على أن نتائج الاستفتاء تمثل دعوة صريحة للشباب الفلسطيني بأن يكثف من جهوده لمواصلة المقاومة ضدنا. ويضيف «حتى أنا لو كنت فلسطينياً فمن المنطقي أن أصمم على ترك سبل المفاوضات والبحث عن وسائل أخرى». وأضاف «هل يتوقع هؤلاء المعتوهون أن يوافق العرب على السلام معنا